ORIGINAL ARTICLE

تاريخ الطب في إقليم البحرين

محمد العطار [١]
جاسم أحمد [٢]

١- طبيب، كلية الطب البديل، جامعة الشهيد بهشتي للعلوم الطبية، طهران، ايران
٢- جامعة المصطفى العالمية، قم، ايران

لكاتب المسئول: محمد العطار؛ طبيب، كلية الطب البديل، جامعة الشهيد بهشتي للعلوم الطبية، طهران، ايران
msa190@gmail.com

History of Medicine in Bahrain Territory

Muhammad al-Attar[1], Jasim Ahmad[2]
1- School of Traditional Medicine, Shahid Beheshti University of Medical Sciences, Tehran, Iran
2- Al-Mustafa International University, Qom, Iran
Correspondence: Muhammad Al-Attar; School of Traditional Medicine, Shahid Beheshti University of Medical Sciences, Tehran, Iran;
msa190@gmail.com

Abstract

Bahrain territory is the cradle of one of the oldest civilizations in the Middle East where Dilmun Civilization (BC 5000) once was located; it was the cultural center which granted knowledge to humanity in many subjects, especially famous for literature and religion. Still, there is lack of research on the efforts of scientists in this territory regarding practical sciences such as medicine, pharmacology and agriculture. As day by day attention to alternative medicine is drawn by both public and health officials due to World Health Organization (WHO) recommendations, it is important to define traditional medicine features in this area.

This article is a historical qualitative research; its goal is to introduce traditional medicine physicians, their scientific works and features of medical practice, in addition to health status they were involved in. Academic databases were searched, besides manual search in hard materials like history books, famous biographies and manuscript indices. 14 scientists were recognized who had practiced medicine or had authored in this field, seven compilations and numerous manuscripts written by them; there was a lucid relation between this area's scientists with others in India, Persia and Iraq; they wrote their books in Arabic and Persian and believed in experimental medicine. Ultimately, we can conclude that there is evidence of innovation or ancient school of medicine exclusive to this region.

This study recommends: 1. Critical text study of Bahraini compilations and discovering their features; 2. More oral history research to identify ethical, social and medical

successes of this region's practitioners and 3. Quantitative study of local knowledge about plants and their medical uses to be suggested by evidence, considering hazards and drug discovery reasons.
Key words: Arabic poetry, Herbs, Plants, Medicine, Nutrition, Remedy

Received: 8 Apr 2016; Accepted: 25 June 2016; Online published: 5 Aug 2016
Research on History of Medicine/ 2016 Aug; 5(3): 171-180

الملخص

يُعد إقليم البحرين إحدى الحواضر المدنية منذ القدم حيث قامت فيها حضارة دلمون، وبؤرة ثقافية قدمت نتاجاً علمياً في مختلف فروع المعرفة إشتهر منها نتاجهم في الأدب والعلوم النقلية (الدينية)، ومع كثرة هذا النتاج نشهد غياب البحث العلمي عن جهود علماء هذه المنطقة في العلوم التطبيقية مثل الطب والصيدلة والزراعة؛ وهو ما يؤكد على ضرورة البحث بهذا الصدد سيما مع ازدياد الاهتمام الشعبي والرسمي بدمج الطب البديل ضمن خدمات الرعاية الصحية، كما توصي به منظمة الصحة العالمية.

هذا البحث نوعي بالمنهج التاريخي، ويهدف إلى التعرف على الأطباء بالمنهج المعمول به قبل الطب الرائج حالياً، والنتاج العلمي المدون لهؤلاء العلماء، والميزات الأساسية لها، إضافة للحالة الصحية التي يتعاملون معها؛ وقد تم بهذا الصدد البحث في قواعد البيانات الطبية و البحث يدوياً –لغياب قواعد بيانات رقمية- في كتب الأعلام والتاريخ وفهارس المخطوطات المعنية بهذه المنطقة.

تم التعرف على ١٤ عالماً أُشير لممارستهم للطب بشكل صريح او كانت لهم مؤلفات طبية، إضافة للتعرف على سبعة مؤلفات طبية كتبها علماء بحرانيون وعدد من المخطوطات التي استنسخوها من مؤلفات علماء سائر الأقطار الإسلامية؛ وتبين أن أطباء البحرين كانوا متصلين ثقافياً بسائر الحواضر مثل الهند وبلاد فارس والعراق، وكتبوا مؤلفاتهم بالعربية والفارسية.

تُعد هذه الدراسة الأولى في موضوعها، وهي توصي بـ ١) دراسة المؤلفات البحرانية المخطوطة في موضوع الطب بالمنهج النقدي لتحقيق النصوص اولاً، ومن ثم إستكشاف جوانب الإبداع والتجديد فيها؛ ٢) بذل المزيد من الجهد بمنهج التاريخ الشفهي لدراسة السمات الأخلاقية والإجتماعية والنجاحات الطبية لعلماء هذه المنطقة؛ ٣) دراسة إستطبابات الأعشاب الطبية المحلية ومدى فائدتها، كمقدمة للتوصية بها كممارسة مبنية على براهين او التحذير منها او ضمن أبحاث الكشف عن الأدوية

الكلمات الأساسية: تاريخ الطب، الطب الشعبي، الطب البديل، البحرين

المقدمة

إقليم البحرين هي المنطقة الواقعة شرق شبه الجزيرة العربية حدودها البصرة شمالاً حتى عمان جنوباً، والخليج الفارسي شرقاً حتى إقليم اليمامة غرباً[1] (الصورة 1)، اما مملكة البحرين اليوم فقد كانت تعرف في العصور الإسلامية بإسم جزيرة أوال؛ يظن بعض الباحثين أن سبب تسميتها بالبحرين كتثنية للبَحر هو كونها محاطة بالبحر من كل الجوانب وهو ما لا يتوافق مع الواقع الجغرافي للإقليم صاحبة التسمية الأولى، لهذا لعل الأصل الفارسي لها بمعنى المكان الأخضر او المكان الجيد («به» بمعنى أخضر او جيد + «رين» اسم للمكان) هو الأصح[2]، سيما وأنها منطقة متحضرة مشتهرة بالزراعة لوفرة المياه العذبة فيها.

في هذه المنطقة قامت حضارة دلمون (٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد) والتي شكلت مركز حلقة الوصل بين حضارات بلاد ما بين النهرين شمالاً، وحضارة وادي السند شرقاً والفراعنة في مصر غرباً وبلاد فارس بالضفة الاخرى من الخليج شرقاً؛ وعرفها السومريون بأرض الخلود، فمن أبيات إسطورة الفردوس:

«أرضُ دِلْمونْ مطهرة، أرض دِلْمونْ نقية
أرض دِلْمونْ نظيفة، أرض دِلْمونْ مشرقة

1- al-Beladi al-Bahrani, 1958; Mubārak, 2004.
2- Mazraati, 1996.

لا أحد يقول عيني تؤلمني
لا أحد يقول رأسي تصدعني
فيها لا تقول المرأة العجوز (أنا عجوز)
ولا يقول الشيخ (أنا طاعن في السن)»[3]

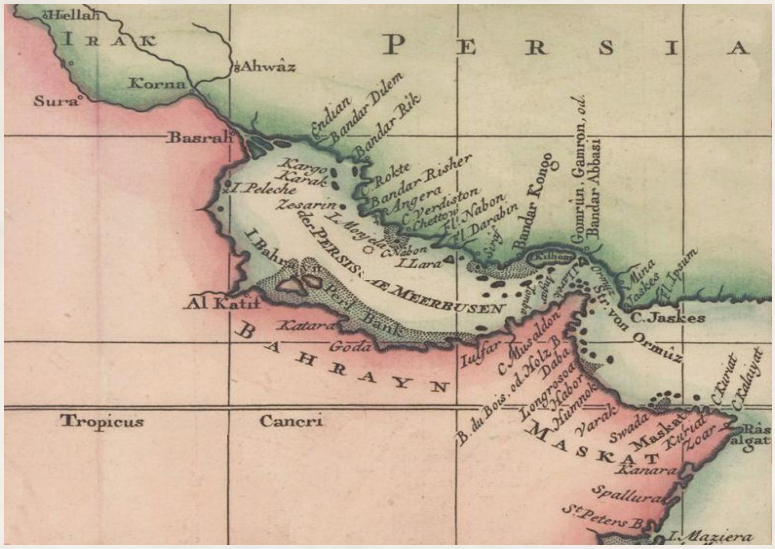

الصورة ١ : خريطة قديمة تعود للعام ١٧٤٥م فيها اقليم البحرين

أما في ملحمة جلجامش الشهيرة، فقد كانت دلمون (جزيرة أوال) هي موطن زهرة الخلود، تقول الأبيات:

«ونزل إلى أعماق المياه حيث ابصر النبات، فأخذ النبات الذي وخز يديه (...) إن هذا النبات عجيب، يستطيع المرء ان يطيل به حياته، لآخذنه معي إلى (اوروك) (...)، واشرك معي الناس ليقطعوه ويأكلوه، وسيكون إسمه (يعود الشيخ الى صباه كالشباب)»[4]

لعل هذه الأساطير كانت نواة إيمان بما في الطبيعة من دواء لكل داء، يجب البحث عنه حتى تحت مياه البحار آملاً الحصول على مجتمع فاضل لا يمرض فيه أحد.

وقعت البحرين فيما بعد تحت هيمنة الحكم الساساني ولكن بنظام حكم ذاتي، وكانت أكثر الديانات فيها شيوعاً الزرادشتية والمسيحية[5]، حيث كانت مركزاً لكنيسة المشرق (الكنيسة النسطورية) المرتبطة بمدارس جنديسابور، والرُها ونصيبين[6]، والتي اشتهرت بالأطباء السريان الذين كان لهم دور بارز في نقل التراث الطبي للعربية[7].

على الرغم من اشتهار البحرين بالعلماء والرواة منذ القرن الأول بعد الإسلام[8]، إلا أن مصادر تاريخ الطب غفلت عن ذكر الممارسة الطبية فيها، ربما لكونها منطقة معارضة دائمة للحكومة المركزية[9].

بدأ الطب الحديث في البحرين بمبادرة أمريكية بهدف التبشير للمسيحية – كونها مركزاً لذلك قبل الإسلام- حوالي عام ١٩٠٠م، ويذكر القس صموئيل زويمر (١٨٦٧-١٩٥٢م) أن البحرين كلّها كانت تخلو من طبيب واحد مع انتشار الأوبئة والأمراض وتردي الأوضاع الصحية وهو ما يوافق الرواية البحرانية حول قلة الأطباء المحليين وكثرة الأمراض[10]، ولكنهما يختلفان في اسباب قلة الأطباء.

فبحسب الرؤية الغربية -بعد اكثر من قرن من الاستعمار- يرجع السبب الى تخلف المسلمين علمياً وعدم كفائتهم عملياً[11]، ولهذا يبرز تفوقهم الحضاري الذي يمنح لهم شرعية الإستعلاء والغرور، ويسمح لهم بمحاولة فرض عقائدهم وإلغاء عقائد وممارسات المجتمعات المحلية –منها الطبية- تحت عناوين شتى منها التبشير[12].

أما الرؤية المحلية فترى السبب كامناً في الإمبريالية والاستعمار، فقد تحولت البحرين بعدما كانت تتمتع بأول أنظمة الحكم الإشتراكية (القرامطة)[13]، إلى

3- Hasan, 2005: 179.
4- Anonymous, 1962: 107.
5- Tali', 2006.
6- Larsen, 1983.
7- Hafiz, 1993.
8- al-Beladi al-Bahrani, 1958.
9- Khalīfah, 2010.
10- Mubārak, 2004; Rajab, 2011.
11- Rajab, 2011; Mylrea, 1951.
12- Arnold, 1988.
13- Khalīfah, 2010: 183.

ضحية تحت سياط الإقطاعية وتعمد الإضرار بالشعوب المحلية وهو ما يدفع العلماء والمتمكنين من الهجرة وبتعبير أحد هؤلاء العلماء يصف حالهم: «ما لعبت بهم أيدي الزمان، وما نالوه من البلاء والهوان من أهل الجور والعدوان، والحوادث والوقائع التي أخلت منهم الأوطان وبددت شملهم في كل مكان».[14]

تثبت الدراسات الحديثة –الغربية- صحة الرؤية المحلية بحسب العديد من المجتمعات[15]، كما يثبته واقع نوع انتشار الأمراض في المجتمع البحراني إبان فترة الإستعمار وهي: الملاريا، وباء الطاعون، وباء الكوليرا، وباء الجدري، وباء السل الرئوي، حمى الدنج، حمى التيفوس، الكزاز، الدوزنتاريا، نزلات السالمونلا وحمى التيفوئيد، التراخوما، قدم ماديورا، دودة جني، القراع، والديدان المعوية[16]؛ اما فقر الدم المجلي فعلى الرغم من اشتهار المنطقة به كمرض وراثي إلا أن نسبة المصابين به حوالي٠,٥-٢٪ فقط؛ أما الأمراض الشائعة فكلها مرتبطة بالفقر الغذائي وتلوث مياه الشرب وإتساخ البيئة بالقمامات او المياه الآسنة، ولا تختلف توصيات الطب القديم في رعاية صحة المجتمع عن التوصيات الحديثة في الكثير منها، كما أنها لم تستأصل إلا بتحسن الأوضاع الصحية والاجتماعية والاقتصادية.

ومع تفشي الفقر والجهل وهجرة العلماء بسبب الاستعمار، إلا أن تجربة الباقي من الأطباء المحليين المحدودة بسبب ما سبق لم تكن - كما يدعي المُبشرون - خالية من أي علم، بل أنها كانت متفوقة على طبهم في العديد من الأمراض المحلية وفي العديد من المجتمعات –كما تثبت الدراسات الحديثة- ولا يعيب جهل الأطباء المحليين او ضعف مناعة المجتمع بسبب الظروف الاجتماعية أو بالنسبة للأمراض الجديدة والتي أتت مع المستعمر كفائة الأطباء المحليون[17]، وليست البحرين إستثناءً من هذا، فمما وُثق بهذا الصدد ما يُروى عن إصابة الدكتور «ستورن» أحد أهم أطباء مستشفى الإرسالية بمرض «الصفراء»، ولم تنجح معالجات جميع أطباء المستشفى، وازداد مرض الدكتور «ستورن» وطال إعيائه حتى إقترح أحد الموظفيين البحرانين في المستشفى أن يُحضر له أحد الأطباء المحليين، فقد يُشفى من المرض، لكن الدكتور «ستورن» وسائر الأطباء رفضوا الإقتراح بشدة كونهم «أطباء»، حتى ساءت حالة «ستورن» وشارف على الموت.

لم يكن بيد الأطباء الأمريكان غير قبول التشبث بقشة الأطباء المحليين، فقبلوا بحضور الطبيب والذي طلب قطعة من شجرة «القرم» فقام بطحنها وطبخها ليصنع منها محلولاً، يشرب من المريض كأساً في الصباح، وآخر في الظهر والثالث في الليل؛ ولم ينته يومان حتى تحسنت حالة الطبيب «ستورن» بوصفة الطبيب المحلي![18]

هذه التجربة الإجتماعية حفظت إيماناً عميقاً بمناهج الطب الرائجة محلياً قبل قدوم الطب الغربي ولا يعني تخلف المؤسسات العلمية عن تطوير هذا الطب وتحديثه عن ضعف أسسه علمياً، بل أن جدوى بعضه أساليبه العلاجية، رخص ثمنها، توفرها وقلة أعراضها الجانبية بالنسبة للطب الغربي دفع منظمة الصحة العالمية للإعتراف بها والتوصية بدمجها مع خدمات الرعاية الصحية الأولية[19].

من الواضح أن الطب علمٌ تجريبي مبني على البراهين بأيَّ منهج كان وهو ما يعني ضرورة توفر أساس علمي قابل للمشاهدة والإحصاء من علم الإصابات Pathology حتى العلاج مروراً بالتشخيص وهو ما لا يتوفر في الإستطبابات الشعبية العامة ولا يدل على الإلمام بها فعلُ المعالجين المحليين في فترات ضعف الحضارة وهو ما اشتكى منه العديد من الأطباء منهم ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥٠-٣١١هق/٨٥٤-٩٢٥م) الذي كتب بهذا الخصوص ثلاثة كتب هي «في الأغراض المميلة لقلوب كثير من الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم»، «في العلة التي لها ترك بعض الناس ورُعاعهم الطبيب وإن كان حاذقاً» و «في العلة التي لها ينجح جهال الأطباء والنِساء أكثر من العلماء»[20].

تهدف هذه الدراسة للتعرف على الأطباء في إقليم البحرين و ما ألفوه من كتبٍ في الطب العربي، كمقدمة ضرورية للتعرف على الأسس العلمية للطب في هذه المنطقة قبل التوصية بدمجها ضمن خدمات الرعاية الصحية الأولية.

14- al-Beladi al-Bahrani, 1958; Shahaby, 1996.
15- Arnold, 1988.
16- Rajab, 2011.
17- Arnold, 1988.
18- al-Basam, 2001, 19.
19- World Health Organization, 2013.
20- al-Biruni, 2008.

منهج البحث

هذا البحث نوعي qualitative research بالمنهج التاريخي، حيث تمت مراجعة كل المصادر المكتوبة المتوفرة لدى الباحثين حول تاريخ المنطقة، أعلامها وأدلة المؤلفات فيها وتشمل فهارس المخطوطات حتى الوصول لدرجة الإكتفاء المعلوماتي Data Saturation.

تم البحث في قواعد البيانات الأكاديمية والطبية Pubmed و google scholar عن الكلمات المفتاحية «Bahrain» و «Traditional Medicine»، ونظراً لعدم توفر قواعد بيانات رقمية موثقة بموضوع البحث وللتراث المكتوب بشكل عام، تم البحث يدوياً عما يدل مفهوماً عن أعلام ينتمون للبحرين ولادة او اقامة او إنتماء بشكل صريح وكانت لهم ممارسة طبية او تأليف فيه دون الإلتزام بكلمات مفتاحية في المصادر المذكورة اعلاه.

النتائج

لم يُعثر على اي مادة حول الأطباء في إقليم البحرين في قواعد البيانات الأكاديمية، عُثر على ثلاث مقالات علمية فقط حول الأعشاب الطبية في البحرين؛ حوت فصلية «الثقافة الشعبية» مقالين مرتبطين بهذا البحث هما «الطب الشعبي في البحرين»[21] و «الإستعدادات للحمل والولادة قديماً في البحرين[22]»، وكلاهما يفتقر لمناقشة موضوع هذه الدراسة.

اما في المصادر التاريخية وبحسب البحث اليدوي فقد تم العثور على ١٤ ممارساً للطب او مؤلفاً عنه، كتبوا سبعة كتب بهذا الموضوع، يعود أولهم للقرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي، ويظهر أن هؤلاء العلماء لم يكونوا مجرد أطباء بل لهم معرفة وتأليفات في العلوم الرائجة في زمانهم، كما كانت لديهم علاقات وثيقة بسائر الحواضر مثل العراق وبلاد فارس والهند.

أعلام الطب في إقليم البحرين

١) حسن بن أحمد بن عبد السلام الجدحفصي (بعد ١٠٧٣ هق/١٦٦٣م)

كان مبرزا في الحكمة البدنية ومرجعا لبلاد البحرين في ذلك[23]

٢) عبدالنبي بن أحمد بن مانع العكري التوبلي الجدحفصي البحراني (بعد ١٠٧٣هق/ ١٦٦٣م)

أولَّ من نشر الطب في البحرين، شاعر وعالم بالنواميس؛ له من المؤلفات «كتاب في تحليل التتن وشرب القهوة ومنافعهما للإنسان» و «ديوان في المراثي» متداول بين القرّاء وارباب المراثي.[24]

٣) أحمد بن صالح بن حاجي بن علي بن عبدالحسين بن شيبة آل عصفور الدرازي البحراني (١٠٧٥-١١٢٤هق/ ١٦٦٥-١٧١٢م)

كان مقيماً في الهند حتى حكومة الشاه «اوتكريت» والذي امر بحضور مقدم كل صنف، وكان الشيخ احمد مقدم العلماء فأمر له بألف روبية؛ استوطن الشيخ احمد بلدة جهرم بعد عودته من الحج.

ذكر عنه انه كان «غاية الزهد والورع والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يؤثر بماله الأضياف وبيته لا ينفك دائماً عن جمع من الغرباء والواردين سيما أهل بلاده البحرين»؛ له كتاب «الطب الأحمدي» بطريق الرواية، و «رسالة في الإستخارة».[25]

٤) السيد احمد الزنجي البحراني (ت. ١١٨٢هق/١٧٦٩م)

من قرية الزنج، كان أديباً شاعراً عارفاً بالطب، له من الكتب «كتاب في الأنساب»، «كتاب في الأذكار»، «كتاب القصائد».[26]

٥) علي ابن إبراهيم الشاخوري (ت:١٢٦٧هق/١٨٥١م)

له من الكتب: «الأعراض في حدوث الأمراض»، «منار الهدى في الإمامة»، «قامعة أهل الباطل في الرد على من حرم تعزية ابي عبدالله الحسين»، «الأجوبة العلية للمسائل المسقطية».[27]

٦) محمد الملا الحنفي الإحسائي (١٢٧٠هق/١٨٥٤م)

له كتاب «تلخيص كتاب الرحمة في الطب والحكمة»[28]

٧) سليمان بن حمد بن عيد الإحسائي (قبل ١٢٧٢ هق/١٨٥٢م)

له كتاب «في أسماء الأدوية»[29]

21- Isaa, 2011.
22- al-Sulaiti, 2009
23- al-Beladi al-Bahrani, 1958; al-Mohtadi al-Bahrani, 1994; al-Bahrani 1998, 193.
24- al-Osfor, 2008.
25- al-Osfor, 2008: 35.
26- al-Osfor, 2008: 18.
27- al-Osfor, 2008; al-Mohtadi al-Bahrani, 1994: 406.
28- Aba-Hussain 1983, 241.
29- Aba-Hussain 1983, 241.

٨) محمد باقر بن محمد علي بن ولي الله خان بن هيبة الله خان بن عبدالله خان الهاشمي القرشي البحريني السماهيجي (قبل ١٣٣١هق/١٩١٣م)

له كتاب ضخم في القرابادين بإسم «ذخيرة مسيحي»؛ ذكر في مقدمته انه من مجرباته ومجبرات آبائه المذكورين بلفظ «حكيم»، وهو ما يدل على اسرة طبية بحرانية مجهولة أقامت في الهند، والكتاب مخطوط باللغة بالفارسية نُسخت في ٦ ذي الحجة ١٣٣١ هق (١٩١٣/١١/٦م) بيد السيد محمد قاسم. (الصورة ٢) [30]

٩) عبدالله بن محمد علي الستري (ت:١٣٢٠هق/١٩٠٣م)

ذُكر عنه انه «عالم فاضل وطبيب حاذق، سكن جزيرة أُكُل، كان شريباً للتن والقهوة العربية بكثرة، مزّاحاً، ... له سطوة ومهابة، إذا غضب أرعب الناس» و «وكان من حذق الشيخ عبدالله في الطب ان الجذام والجرب كانا عامين في البحرين، ولما وُجد التتن أمر الناس بالتدخين خصوصاً من وجد فيه مقدمات هذا المرض، فخفت وطأتهما وندر وجودهما».[31]

نسخ عدد من الكتب الطبية لنفسه منها «الموجز في الطب» لإبن النفيس في ١٣ رجب ١٢٩٤هق (١٨٧٧/٧/٢٤م)[32]، «تلخيص مسائل حنين بن اسحاق العبادي» لأبي سهل سعيد بن عبدالعزيز النيلي في ٢٣ رجب ١٢٩٤هق (١٨٧٧/٨/٣م)[33].

من تلاميذه: محمد علي بن حسين المقابي البلادي.

١٠) محمد علي بن حسين المقابي البلادي (ت.١٣٥١هق/ ١٩٣٣م)

طيب حاذق، يعالج من عامة الأمراض الطبيعية، ماهر في تشخيص الأمراض ومعرفة الأدوية وكيفية المعالجة، وكان مؤمناً تقياً خيراً صالحاً يعالج مجاناً ويباشر تحضير الأدوية والعقاقير والجواهر بنفسه ويتبرع بأثمانها للمعوزين؛ دُفن في مقبرة أبي عنبرة في البلاد القديم[34].

والظاهر أن أستاذه ومعلمه في الطب هو الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد علي الستري (ت:١٣٢٠هق/ ١٩٠٣م).[35]

مما يذكره الطبيب ابراهيم المبارك عنه: «حضرت علاجه في آخر عمره وكنت في سن أول البلوغ قد تمرضت فأشار عليّ بعض الناس بالفصد ففصدت، وآخر بشرب المسهل فشربت؛ فإنحلت قواي وقعد بي الضعف، فقابلت هذا الطبيب وأخبرته الحال، فقال: إيش فعلوا بك؟ الذي فصدك قتلك، والذي سقاك المسهل أجهز عليك؛ وما بقي عندك إلا البَداء الذي انت تعتقده، ثم شرع في علاجي فما آلى جهداً حتى نشطت من عقال، ولم يقطع عني علاجه حتى عوفيت ونقهت وقويت».[36]

١١) محمد بن ناصر آل نمر (ت. ٩ شوال ١٣٤٨ هق/ ١٠/٣/١٩٣٠م)

حكيم ماهر وطبيب حاذق من أهل العوامية؛ درس في القطيف والنجف على يد ثلة من العلماء منهم الشيخ علي البلادي البحراني (١٢٧٤-١٣٤٠ق/١٨٥٨-١٩٢٢م)، والطب اليوناني عند الطبيب النجفي البارز الميرزا صادق بن باقر الخليلي (ت. ١٣٤٣ق/١٩٢٤م).[37]

١٢) قاسم بن مهزع بن فايز السبيعي المالكي (١٢٦٣-١٣٥٨هق/١٨٤٧-١٩٤١م)

عالم فاضل، تولى منصب قاضي قضاة البحرين و تعلم شيئا من الطب العلاجي علي يد الطبيب التركي أسعد أفندي حينما هرب من حاكم الكويت للبحرين عام ١٣٣٣ ق (١٩١٥م)[38]

١٣) مساعد العزمي الكويتي المالكي (١٢٦٢-١٣٦٢ هق/١٨٤٥-١٩٤٣م)

كويتي الأصل، درس بالأزهر واتخذ البحرين موطناً خوفاً من حاكم الكويت؛ تعلم التلقيح ضد مرض الجدري المتفشي آنذاك في مصر، وكان يوفر الأدوية واللقاحات من الهند.[39]

١٤) إبراهيم بن ناصر بن عبد النبي المبارك (١٣٢٦-١٣٩٩هق/١٩٠٨-١٩٧٩م)

طبيب، شاعر، مؤرخ، فقيه أرخ لنفسه في كتاب «حاضر البحرين»؛ درس العلوم الأساسية مثل الكتابة والقرآن، والتجويد وعلم الكلام والفقه والمنطق والحساب والأصول في البحرين ثم هاجر للنجف الأشرف وحضر بحث السيد أبو الحسن ، والسيد محسن الحكيم، والشيخ محمد رضي آل يس، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وغيرهم، وحصل على إجازة علمائها في

30- al-Samahiji, 1913.
31- Mubārak, 2004, 102.
32- Ibn al-Nafis, 1877.
33- Tabatabai, 2011: 177.
34- Mubārak, 2004, 102.
35- Ibid.
36- Ibid.
37- al-Beladi al-Bahrani, 1958: 378; al-Hakin, 2008: 102.
38- al-Hadi, 2007.
39- al-Manis, 2007.

الإجتهاد والرواية، وتولي الأمور الحسبية وإقامة صلاة الجمعة.[40]

الصورة ٢ : الصفحة الأولى من مخطوطة «ذخيرة مسيحي»

له من الكتب: «عمود الدين»، «الدليل الواضح»، «منظومة في العقائد»، «كتاب المسائل»، «النور المشرق في احكام المنطق»، «كتاب الأضداد»، «حاضر البحرين»، «شرح مختصر لديوان الشاعر الكبير أبي البحر الخَطي»، «رسالة بلاغ العابدين»، «منار الهدى إلى دين المصطفى»، «حاشية على أربعين البهائي»، «الكليات»، «أجوبة المسائل»، «ديوان السوانح النجفية» و كتاب «المرويات والمجربات في الطب» ذكر فيها ما جربه في الطب.[41]

وتحوي سائر كتبه ملاحظات طبية طريفة، منها وصف معاصريه طبياً مثل «وكان مسناً ضعيف البنية مصاباً بالرعشة» و «إلا أنَّه غضوب لما به من مرض السوداء»، او التعليق على ممارسات الأطباء في زمانه، ومن ذلك ما ذكر من أمر الشيخ عبد الله بن محمد علي الستري للناس بشرب التتن فعلق عليه: « وكان سببهما فساد الدم بالسوداء، ويكون الجذام غالباً من الصفراء المحترقة المستحيلة إلى السوداء، أما وجود السوداء في الزمن الحاضر فكثير بأنواعها الثلاثة: المقرَّحة، والمجنِّنَة، وذات الرياح الموجعة».[42]

كما يصف أمراض عاينها فيقول عن العرق المديني او ما يسمى اليوم بدودة جني Guinea's worms «ولا استبعاد في ما ذكرناه من قضاء التدخين على الجذام والجرب؛ لأن الله خلق بإزاء كل داء دواء وهي من اسرار الكائنات

40- Mubārak, 2004.
41- Ibid.
42- Ibid.

التي يظهر عليها العقل البشري تدريجاً بإحتكاك التجارب والإختبارات، وذكر المرحوم الشيخ خلف أن العرق المدني كان فاشياً في العالم وهلك منه خلق كثير ولما ظهر الشاي وإستعمله الناس خفّت وطأته وندر وجوده، وقد صدق الشيخ فيما قال فقد عايَنّا المصابين بهذا المرض على كثرة ولا يسلم المصابون به لعدم معرفة الناس بعلاجه وقلة الأطباء في الزمن السابق، وسبب هذا المرض عفونة تقذفها المسام إلى سطح الجلد فتحدث منه قرحة تغوص في أعماق البدن حتى تبلغ الى النفس وفي داخلها عرق لذاع يحس صاحبها كأن دودة تتحرك فيها، فإذا لم يقدر لها علاتج صحيح حتى سرت الى النفس، قتلت صاحبها، وبرؤها بموت هذا العرق وأخراجه من جوف القرحة، وعلاجه تعاطي المريض بالصبر الأخضر أكلاً وطلاءً على القرحة، ويجعل على القرحة شيئاً من المنضجات كقرص التين او الصين المدقوق ناعماً مع الودك الفطير حتى تنضج القرحة وتنفجر ويظهر رأس العرق من القرحة فيربط في رأسه خيط ويجر قليلاً ثم يترك، ثم يعاود جره وهكذا حتى يموت العرق، ثم يعاود جره حتى ينسحب من يخرج فتبرأ القرحة ويعافى المريض»[43].

كما يذكر ما جربه من علاج باليد فيقول عن مرض القلاع: «ومن الأمراض التي كانت مجهولة العلاج في السابق مرض القلاع، وهو قروح تتكون في فم الأطفال وحلوقهم وفي أصل اللسان في سني الرضاع ونبات الأسنان، ويسمى عن أهل عصرنا بـ (أبو لسيِّن) تصغير لسان وهو مرض قتال قتل عدداً كبيراً من الأطفال لعدم معرفة علاجه، وهو يكون بحمى لازمة وورم في الغدد واللسان وإسهال وقئ وعطش شديد وحرارة وإلتهاب، ويمتنع الطف من الرضاع، ثم توصلت بعض النساء لعلاجه بالمروخ فيمرخ ثلاث مرات وأكثر فيبرأ لكنه يعود في الشهر الثاني ولا يبرأ برءاً تاماً حتى يعود في الشهر الآتي، وهكذا حتى يتم نبات أسنانه، وبدؤه من الشهر الرابع من ولادة الطفل وهو مبدأ نبات الأسنان، ثم توصلت الأطباء إلى علاجه بحقنة الإبرة والأدوية لكنه لا يبرح يعاود الطفل كذلك حتى إهتدينا إلى علاجه بالكي فكان بهذا العلاج يبرأ تماماً ولا يعاود الطفل أبداً بتجربة وإختبار، وعلاج ذلك أن يكون كيتين إحداهما في نقرة القفاء وهي الفاصل بين الرأس وفقرات العنق، والثانية في نقرة الرأس وهي النقرة التي تكون في أعلى الرأس في الوسط بين المقدم والمؤخر؛ وعلامتها استدارة منبت الشعر حولها».[44]

«ومن الأمراض التي أدركنا ولا علاج لها حتى توصلنا إليه بنجاح نهش الحية السوداء الصغيرة المسماة بالأصلة على وزن بصلة، وقد باشرت بنفسي علاج مصاب بها فبرئ وذلك أني ذبحت له ديكاً وقطعته نصفين فوضعت نصفاً منه بسخونته على موضع اللذع وربطت عليه عصابة ولففت النصف الباقي بشئ لتبقى سخونته فيه، وبعد مقدار اربع ساعات ألقيت النصف الأول ووضعت عليها النصف الثاني طول الليل وصرت أسقي المريض بماء الليمون ليحمي قلبه عن وصول السم إليه، وربطت أعلى العضو المصاب ليمنع سريان السم إلى الجسد، فلما أصبح وحللت عنه العصابة وجدت لحم ذراعه قد تهرى من سم اللذعة، فغسلتها بالماء الساخن ثم وضعت عليها ورق التتن ولففتها، وكانت الذراع مع تهري لحمها قد سكن ألمها وتحلل ورمها، فتركت عليها التتن يومه وليلته فلما أصبح أعدت غسلها بالماء الساخن ووضعت تتناً جديداً، وهكذا صنعت به كل يوم حتى دمل العضو وعوفي المريض»[45].

الخاتمة و التوصيات

استعرض البحث أطباء إقليم البحرين ويظهر عدم توقف النتاج العلمي في مجال الطب حتى في فترة الضعف الحضاري بعد الغزو البرتغالي والإستعمار البريطاني الذي تلاه، فقد تم الكشف عن ١٤ طبيباً وسبعة مؤلفات خاصة بالمنطقة.

بيَّن البحث أن من أطباء المنطقة علماء بارزين مثل «أحمد بن صالح آل عصفور» حيث كان المقدم من بين العلماء في الهند، أو أنهم تتلمذوا على يد أشهر الأطباء في زمانهم مثل «محمد بن ناصر آل نمر»، وتمتع معظمهم بالموسوعية العلمية.

كان لعلماء المنطقة تواصل ثقافي مع سائر البؤر الحضارية في الجوار،

43- Ibid.
44- Ibid.
45- Ibid.

فقد كتب محمد باقر السماهيجي كتابه في الطب «ذخيرة مسيحي» بالفارسية، كما استوطن «أحمد بن صالح العصفور» الهند وجَهْرُم في بلاد فارس.

إهتم الأطباء في هذه المنطقة بالجانب النفسي لعلاج المريض بتوصية أذكار او أدعية، وبالجانب المادي عبر العلاج المجاني والتبرع للمعوزين بالأموال كما كان الشيخ محمد علي المقابي.

آمن الأطباء في هذه المنطقة بأن الطب علمٌ تجريبي وليست مجرد نقل، لهذا جعل الشيخ إبراهيم المبارك كتابه بعنوان «المجربات في الطب»، كما ذكر محمد باقر السماهيجي ان كتابه يحوي ما جربه وآبائه.

يظهر أن المدرسة البحرانية في الطب تنفرد ببعض الميزات العلمية، فمثلاً تصنيف الشيخ إبراهيم المبارك للسوداء بأنها «أنواع ثلاثة: المقرَّحة، والمجنِّنَة، وذات الرياح الموجعة» لا يظهر في سائر الموسوعات الطبية السابقة مثل مؤلفات ابن سينا والرازي وابن النفيس، وهو يدل على إجتهاد محلي أو تراث موغلٌ في القدم يعود لفترات تسبق التأثر بالمؤلفات في الحضارة الإسلامية.

يوصي البحث بـ:

١) تشكيل أرشيف معني بالتراث العلمي لإقليم البحرين؛

٢) تحقيق النصوص الطبية بحسب المنهج النقدي لدراسة النصوص المخطوطة؛

٣) دراسة التاريخ الشفهي للمارسات الطبية في المنطقة للتعرف على الميزات الإجتماعية والأخلاقية لممارسي الطب في هذه المنطقة، وإستكشاف الجذور العلمية لهذه الممارسات ومدى تغييرها؛

٤) إجراء الأبحاث الطبية من أجل تجنب الأعراض الجانبية المحتملة للممارسات الطبية الشعبية بشكل أولي أو ثانوي مثل التداخل الدوائي؛ وكذلك التعرف على الإستطبابات القائمة على براهين علمية والتي قد تؤدي للكشف عن أدوية جديدة Drug Discovery.

References

Aba-Hussain Ali. *Index of Bahrain Manuscripts*. Manama: Markaz al-Wathaeq al-Tarikhia, 1983. [in Arabic]

al-Bahrani Y. [*al-Kashkol*]. Vol. 2. Beirut: Dar wa Maktabt al-Helal, 1998. [in Arabic]

al-Basam Kh. [*Hekayat Men Al-Bahrain*]. Beirut: al-Muassasa al-Arabīya li-d-Dirāsāt wa-'n-Našr [u.a.], 2001. [in Arabic]

al-Beladi al-Bahrani A. [*Anwār Al-Badrayn Fī Tarājim Ulamā Al-Qaṭīf Wa-Al-Iḥsā Wa-Al-Baḥrayn*]. al-Najaf: Matbaat al-Noaman, 1958. [in Arabic]

al-Biruni M. [*Risaleh al-Biruni fi Fihrist Kutub al-Razi*]. *Journal of Aqidah and Islamic Thought*. 2008; **9**: 51–100.

al-Hadi B. [*Qeraa Fi Aara Al-Shikh Qasim Al-Mehzaa Al-Feqheia*]. In: Nadwat Al-Shikh Qasim Al-Mehzaa. Manama: High Council For Islamic Affairs, 2007. [in Arabic]

al-Hakin H. [*al-Teb Wa Al-Muaasat Al-Seheia Fi Al-Turath Al-Islami*]. al-Najaf: Matbaat al-Kouthar, 2008. [in Arabic]

al-Manis W. [*al-Shikh Qasim Al-Mehzaa*]. In: Nadwat Al-Shikh Qasim Al-Mehzaa. Manama: High Council For Islamic Affairs, 2007. [in Arabic]

al-Mohtadi al-Bahrani A. [*Olamaa Al-Bahrain Doros Wa Ebar*]. Beirut: Moassat al-Balagh, 1994. [in Arabic]

al-Osfor M. [*Eyon Al-Mahasen Wa Mahasen Aalam Al-Olamaa Wa Al-Shoaraa*]. Manama: Dar Al-Wasat for Publishing and Distribution, 2008. [in Arabic]

al-Samahiji B. [*Zakhereh Masihi*] (Manuscript). 1913. [in Arabic]

al-Sulaiti F. The Old Stages of Pregnancy and Delivery in the Kingdom of Bahrain. *Folk Culture*. 2009;**9**(4):112-125. [in Arabic]

Anonymous. *Epic of Gilgamesh*. Translated by Bagher T. n.p., 1962. [in Arabic]

Arnold D (ed). Imperial Medicine and Indigenous Societies. Studies in Imperialism. Manchester; New York: New York, NY, USA: Manchester University Press; Distributed exclusively in the USA and Canada by St. Martin's Press, 1988.

Hafiz Sh. [*al-Suryān Wa-Tārīkh Al-ṭibb*]. al-Qāhirah: Nahḍat Miṣr lil-Tibāah wa al-Nashr wa-al-Tawzī, 1993. [in Arabic]

Hasan J. [*Tamannu Al-Ghābat Al-ṭarīyah: Tawaghghulāt Fī Nuṣūṣ Shirīyah*]. Al-Ṭabah 1. Naqd Adab = Critique. Bayrūt : Mamlakat al-Baḥrayn: al-Muassasah al-Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr; Wizārat al-Iām al-Thaqāfah wa-al-Turāth al-Waṭanī, 2005. [in Arabic]

Ibn al-Nafis. [*al-Mojaz Fi Al-Teb*] (Manuscript). 1877. [in Arabic]

Isaa Z. Traditional Medicine in Bahrain. *Folk Culture*. 2011;**4**(12):80-101. [in Arabic]

Khalīfah MM. [*Min Sawād Al-Kūfah Ilá Al-Baḥrayn, Al-Qarāmiṭah Min Fikrah Ilá Dawlah*]. Bairūt: al-Muassasa al-Arabīya li-d-Dirāsāt wa-'n-Našr [u.a.], 2010. [in Arabic]

Larsen CE. *Life and Land Use on the Bahrain Islands: The Geoarcheology of an Ancient Society*. Prehistoric Archeology and Ecology. Chicago: University of Chicago Press, 1983.

Mazraati A, Mazraati M, Mazraati A. [*Farhang Beyzawe*]. Tehran: n.p., 1996. [in Persian]

Mubārak I. [*Hadir al-Bahrain*]. Ṭaba 1. Tārīẖ - siyāsa. Bairūt: al-Muassasa al-Arabīya li-d-Dirāsāt wa-n-Našr [u.a.], 2004. [in Arabic]

Mylrea C, Stanley G, Zwemer SM, et al. *Kuwait before Oil: Memoirs of Dr. C. Stanley G. Mylrea, Pioneer Medical Missionary of the Arabian Mission, Reformed Church in America*. n.p., 1951.

Rajab Kh. [*Tārīkh Al-Khidmāt Al-ṣiḥḥīyah Fī Al-Baḥrayn: Min Al-Qarn Al-Tāsi Ashr ḥattá ām 1995*]. Al-Ṭabah al-ūlá. Manama: publisher not identified, 2011. [in Arabic]

Shahaby S. [*al-Bahrain 1920-1971 Qeraa Fi Al-Wathaeq Al-Beritania*]. Beirut: Dar al-Kunoz al-Adabeia, 1996. [in Arabic]

Tabatabai J. [*al-Turāth al-ṭibbī al-Arabī*]. 1st Edition. Kitābkhānah, Mūzah va Markaz-i Asnād-i Majlis-i Shūrā-yi Islāmī, shumārah-i intishār 269. Tehran: Kitabkhanah, Muzih va Markaz-i Asnād-i Majlis-i Shūrā-yi Islāmī, 2011. [in Arabic]

Tali' H. [*Tārīkh-i tajziyah-yi Īrān*]. 1st Edition. Langarūd: Intishārāt-i Samarqand, 2006. [in Persian]

World Health Organization (ed). *WHO Traditional Medicine Strategy, 2014-2023*. Geneva: World Health Organization, 2013.